مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : شباط سنة ١٩٢٨ م الموافق شعبان ورمضان سنة ١٣٤٦ هـ

علائق الحبشة بالبلاد العربية(١)

« في الجاهلية وفي الاسلام »

(قدم الحبشة واستقلالها) — الحبشة أيها السادة من أقدم ممالك العالم ان لم اقل اقدمها ، وهي الوحيدة بين ممالك الشرق ، التي حافظت الى يومنا هذا على كيانها واستقلالها ، على الرغم من امواج بحور الاطماع الاستعمارية ، التي طالما لاطمتها فألفتها صخرةً صلدة انكسرت عليها مياهها المزبدة . دخلها اليونانيون الاقدمون جاليات في عهد بطليوس (Ptolémeé) الثالث ولكن لم يحكموها ، واكاسرة الفرس مع قرب دارهم واتساع ملكهم لم يملكوا يوماً شبر ارض فيها ، وقياصرة الروم الذين دوّخوا الشرق الادنى في آسية وإفريقية لم يتسلطوا عليها ، وغزاهم دراويش السودان اكثر من مرة فعادوا على أعقابهم خاسرين ، وفتحها العرب سنة ١٥٤١ فلم تطل إقامتهم في قلبها ولم يستتب لهم فيها امر حتى أنجد البرتقاليون الأحباش فطردوا الفاتحين ولكنهم ظنوا ان الجو صفا لهم ، فأقاموا نفوسهم مكان العرب ولكن لم تطل مدة استعمارهم ، وفتحها الانكليز عنوةً سنة ١٨٦٨ بجيش جرار مستكمل العدة والسلاح ، ومستوفي الميرة والذخيرة ، ودمرت قنابلهم عاصمتها مكدلا فوق رأس النجاشي ثيودورس الذي انتحر يومئذ من شدة الغيظ ، ولكنهم لم يأنسوا من نفوسهم بعد ذلك النصر كفاءةً لاستعمار تلك القلاع الطبيعية النائية الدار الصعبة المسالك فاكتفوا من الفتح ان عقدوا

(١) محاضرة الاستاذ المحقق السيد عبد الله رعد احد أعضاء المجمع العلمي العربي ألقاها في بهو المحاضرات في السنة الماضية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معاهدةً مع خلفه النجاشي يوحنّس واخلوا له بلاده ، وحمل عليهم المصريون حملات متواليات من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٨٧٦ في عهد الخديو بين محمد علي واسماعيل ، وكانت هذه الحملات انكليزية اكثر مما هي مصرية ، إبتغوا منها فض معضلة النيل ببسط السلطة الانكليزية على أعالي ينابيعه ومجاريه في الأصقاع الحبشية ، وكل حملة كانت تعود بالخيبة على أعقابها بعد تكبدها الخسائر الفادحة في الارواح والاموال ، وحاربهم الطليان فانكسروا شر كسرة في موقعة عدوى سنة ١٨٩٦ ، ولم تجد الالمان دسائسهم واموالهم وموارباتهم السياسية فتيلاً فيما اشرأبت اليه أعناقهم وزينت لهم اطماعهم في ارض الحبش فذهبت أحلاماً تحفر في قلوبهم ، على حد قول راسّين شاعر الفرنسيس .

قال نخامة هانري دي جوفنيل مندوب فرنسا في جمعية عصبة الامم وعميد الدولة المنتدبة في سورية السابق ، في مقدمة له على كتاب سعادة المسيو بيرآليب « كل فعل تفعله الدول الاوربية تبغي من ورائه بسط لواء سلطتها على الحبشة سواء كان ذلك الفعل مباشرةً او بالدسائس ، انما مصيره الاخفاق » . وقال ايضاً بعيد هذا «لاننظرن الى المشكلة الحبشية نظرنا الى مشكلة استعمارية بحتة ، ولا نربطنها كباقي المعضلات الافريقية فنحلها بالتجزئة الى مناطق نفوذ تناسب مصالح الحكومات المصاقبتها ، بل ينبغي ان نحسبها مشكلةً دولية وان نحلها بروح دولية مشتركة » . ولقد قرن القول بالفعل اذ عمل على ادخال الحبشة في عصبة الامم .

على ان الحبشة لم تعش عشرات القرون في عُزلةٍ عن شعوب الارض بل كانت مدى حياتها على اتصال دائم بالامم وخصوصاً بجارتيها العربيتين اليمن ومصر ، اللتين كان لها معها تجارة واسعة . حاربت جيرانها وحاربوها ، كبرت وصغرت ، فتحت بعض بلادهم وفتحوا بعض بلادها ، سنة الله في الامم والشعوب والممالك ، كسننه في الفرد يسعد و يشقى ويفقر ويغنى ولن تجد لسنة الله تبديلا . الا ان كيان الحبشة الاساسي واستقلالها الداخلي والخارجي كانا في كل زمان ولا يزالان الى يومنا هذا أمنع من عقاب الجو . على ان امتزاج الحُبش بالامم الغربية اثّر في حضارتهم وعوائدهم واديانهم ولغاتهم حتى وفي لون بشرتهم وملامح سحنتهم ايضاً . قال المسيو بيرآليب عن تآليف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(James Bruce و Maurice Delafosse) عن كتب الثقاة من المؤرخين الاقدمين « ان الحضارة الحبشية نشأت في جزيرة العرب فحملها اليمانيون الى شرق افريقية منذ عهد بعيد ، ونمت بامتزاجها بالحضارة المصرية » وقال ايضاً بعيد هذا « واننا نرى الحبشة خلال العصور السالفة يشاركون شديد الاشتراك حياة ذلك الشرق الذي انبزغت لنا منه شمس حضارتنا وانبثق لنا منه نور عقائدنا » (يعني اور بالضمير الجمع) وختم الموضوع بقوله « يستدل من هذا ان الحبشة كانت في ذلك الزمان مشرَعَ المفارق ، اي نقطة الاتصال بين حضارة البلاد المتصلة ببحر الروم ، وبين حضارة البلاد المتصلة ببحر الهند ، وان أقل ما يقال عن الاحباش انهم أمة افريقية لا وجه للشبه بينهم وبين سائر الافريقيين العبيد ، لا في اصلهم ولا في عقليتهم ولا في اذواقهم ولا في تقاليدهم (عني بالتقاليد حضارتهم وعاداتهم وعقائدهم) . ثم تساءل هل هم يا ترى من نسل سام حقيقةً ام من نسل يافث » انتهى .

ونحن نجنبه بالمغزى الذي توخاه هو نفسه من بديع شروحه . ان الحبشة ساميون بلا ريبة ولا شك ، باجماع آراء العلماء والفلاسفة والمؤرخين ، تشهد على ذلك ملامح وجوههم وهي أقرب شبهاً الى النسل الأبيض منها الى العبيد . وبهذا دلالة على ان دماءهم كثيرة الامتزاج بدماء الامم العربية والمصرية . ولم تدعُهم العرب حبشاً الا وعنت بهذه الكلمة صفة الاختلاط في الاجناس الآدمية . تشهد لذلك لغتهم فهي حميرية الاصل كالعربية وفيها الشيء الكثير الذي يشبه لغتنا من حيث الوضع واللفظ والاشتقاق والوزن والاعراب ، حتى ان مئات المفردات من الكَلِم تفيد نفس المعنى في العربية والحبشية معاً ، منها ما هو حبشي الاصل فصار عربياً فصيحاً كالمنبر والمصحف ومنها ما هو عربي الاصل صار حبشياً كالعين والرأس ومنها ما هو مختلف في حبشية اصوله ام عربيتها والأصح ان يقال فيه ان كلا اللغتين اشتقتاه من الحميرية وهي ام اللغتين الشقيقتين .

* * *

(اديان الحبشة) — أ وثنيتها = دانت الحبشة اولاً كسائر الامم القديمة بالوثنية فعبدت الاصنام وبعض الحيوان والنبات . ومن معبوداتها من الاصنام ما كانت عبادته شائعة عند عرب الجاهلية كاللات والعزّى وبحير ومالم تعبدها العرب كمَحْرم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومدر ، ومن الحيوان الحية وقد شاعت عبادتها في الحبشة قبل ان يأتيهم دعاة اليهودية الذين هودوهم ، ومن النبات بعض الاشجار وهي لا تزال الى اليوم موضع اجلال ونذور عند قبائل الگالا . قال المستشرق الكبير العلامة (Ignacio Guidi) احد أعضاء مجمعنا العربي في محاضرته التاسعة والثلاثين في الجامعة المصرية « تزعم الحبش ان منيلك بن سليمان اول ملوكهم وليس بصحيح اذ الحبش وملوكهم كانوا يعبدون الاصنام مثل مَحْرِم وبحير ومدر ثم تنصّر من تنصّر من ملوكهم ، وقد ذكرنا الكتابات الموجودة في قصبة مملكتهم اي اكسوم ونورد الآن بعض سطور من هذه الكتابات تدل على عبادتهم الاصنام قبلاً ثم تنصرهم . واذ كان ايراد هذه السطور انما هو للدلالة على تنصرهم بعد عبادتهم الاصنام لم تكن هناك حاجة الى ذكرها بالحبشية فنكتفي بذكر ترجمتها العربية وهي : « نصبتُ منبراً هنا لمحرم ولبحير ولمدر » ثم في كتابة أخرى : « نصبتُ منبراً لرب السماء الذي أعانني ووهبني المملكة وأسجد له بصدق وانصاف وانا لا أظلم الرعية » فمن هذا يعلم انه ملك نصراني لا وثني لانه في الكتابة الاولى يسجد لصنم ثم في هذه يسجد لرب السماء وهو الله . وهذه الكتابات موجودة الآن في اكسوم » اه .

ومن عجيب ما بقي من اثر عبادة هذه الاصنام ، ان المسيحيين الاحباش ابقوا اسمي بُحيرَ ومدر في أسماء الله جل جلاله ، فبحير كان على ما يظهر آله السماء ويقال له بالعربية المشتري (Jupiter) وهو اكبر معبود عند اليونانيين الاقدمين . ومدر كان آله الارض . فيقولون اليوم اكزيءَ بُحير ومدر اي آله السماء والارض يعنون به الله الخلاق العظيم دون الخليقة من الطواغيث .

٢ يهوديتها = واذ أمها اليهود منذ عشرة قرون قبل الميلاد ، وبعد هذا التاريخ ايضاً ، هوّدوا القسم الاعظم من الحبشة ومنهم الامراء والملوك والناس على دين ملوكهم . وقد أضحت في ذلك الدور شرائع الحبشة الدينية والمدنية صورة طبق الاصل لشرائع مملكة اسرائيل . ودامت على هذا الطراز لا الى دخول النصرانية اليها فحسب ، بل ان معظم حضارتها الحالية ، والشيء الكثير في حفلاتها الدينية والمدنية حتى يومنا هذا ، مقتبسة عن عوائد هيكل سليمان وبلاط ملوك اسرائيل ، من ذلك ان قساوستهم ترقص في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بينهم كما كان يرقص داود النبي صاحب الزبور و كهنته أمام تابوت العهد ، ضاربين بالدفوف والصنوج وعازفين على المزمار والقيثارة كما كان يفعل كهان اليهود في ذلك الزمان الغابر . وكما كان سليمان الحكيم يجلس على كرسي القضاء ليقضي بعدله المشهور بين رعيته كذلك يجلس النجاشي مرة في كل اسبوع ليسمع بنفسه شكاوي أمته وظلاماتها و ينصف بينها المظلوم من الظالم ، وليس لعظيم ولا لامير ولا لاي كان من الحكام ان يمنع احداً من استصراخ الملك في امر قضيته .. والحبشة الى اليوم يطهرون صبيانهم بالختانة على سنة اليهود اولاً ثم يصبغونهم بماء المعمودية على سنة النصارى .

ولما تنصرت الحبشة ابى بعضهم الا ان يبقى على يهوديته ففروا الى جبال السمن حيث الفوا لانفسهم مملكة صغيرة ومذكوا عليهم فيناس من سبط يهوذا فعرفت هذه المملكة الى اليوم باسم مملكة فلاشا . والى فيناس يمت رؤساء الفلاشا اليوم اي انهم يزعمون كالنجاشيين الانتساب الى صلب سليمان الحكيم . على ان استقلال هذه المملكة الصغيرة لم يدم طويلاً وهي اليوم خاضعة لصولجان النجاشي .

٣ نصرانيتها = في السنة السبعين للميلاد حج امين خزائن المملكة يهودي صاحبة اكسوم الى اورشليم ، ليسجد في الفصح في هيكل سليمان على سنة اليهود ، وكان هذا الوزير حبشي خصياً « ومن الغرائب ان أمناء خزائن النجاشيين اي وزراء ماليتهم ، لايزالون الى اليوم ينتخبون من الخصيان » واذ كان صاعداً من حجه صادف على الطريق في غزة القديس فليبس اول الشمامسة وهو من رسل المسيح السبعين ، فتنصر على يده كما روي في فصل أعمال الرسل من كتاب العهد الجديد . واذ بلغ الحبشة بث مرملكته النجاشية بالانجيل فتنصرت وتنصر معها قوم من المقربين ولكن ما عتمت الحبشة ان عادت الى يهوديتها بعد موت النجاشية يهوديت وذلك الخصي . حتى كان القرن الرابع للميلاد الذي فيه عمت النصرانية بلاد الحبش ، وكانت نصرانيتهم على يد شاب فينيقي يدعى (Frumence) ابن اخي الفيلسوف الصوري ميروبيوس الحكيم . وكانت لمجيئه الى الحبشة قصة تخرج تفاصيلها عن ملاك هذه المحاضرة . ومن ذلك العهد دامت النصرانية مذهب النجاشيين ، وان الشعوب على دين ملوكها .

٤ اسلامها = اول ما دخل الاسلام الحبشة في عهد النبي (ص) اذ هاجر اليها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الصحابة هرباً من الاضطهاد الذي لاقوه في دينهم من قريش وقد أفردنا لهذه الهجرة فصلاً مخصوصاً من هذه المحاضرة . ثم لما برزت العرب من شبه جزيرتهم والتأمت جموعهم بفضل الاسلام اخذوا يبثون الدعوة اليه في البلاد القريبة اليهم و بهذه الصورة انتشر الاسلام بالارشاد والاقناع في انحاء الحبشة الساحلية كبلاد هرر والصومال والدناكل والعدل والوآو والاغاو وسوهو على يد التجار ، فالحبشة كانت ولا تزال الى اليوم كثيرة العلائق التجارية مع البلاد العربية . واذ بعث الخلفاء الراشدون سراياهم وكتائبهم فغزوا البلاد ، ودوّخوا الامم في آسية وافريقية حتى وفي اوربا ايضاً . وقصد المسلمون في هذه الفتوحات التوسع في الملك والتبسط في الاستعمار ، لم يحولوا نظرهم الى الحبشة وهي جارتهم حتى القرن السادس عشر للميلاد . وسأذكر بعيد هذا حديث فتح الحبشة بجيش من مسلمي سواحل شرق افريقية بقيادة الامام احمد .

* * *

(اصل الأحباش) — ذكر المسيو پيبرآيب في كتابه القيم الذي دعاه « مملكة النجاشيين » ورأيه في ذلك رأيُ معظم العلماء الذين بحثوا في مواضيع اصل الامم « ان قوشاً ابنَ ابن نوح عليه السلام ذهب ببنيه وولدهم الى ارض الحبشة عن طريق مصر والسودان فسكنوها وفيها توالدوا ونموا وتكاثروا وملأوها بنسلهم وأعقابهم ، وان أحفاد قوشٍ هم الذين بنوا مدينة اكسوم قبل عهد ابراهيم خليل الرحمان عليه السلام » .

مدينة اكسوم أيها السادة هي اول عاصمة في الحبشة وأقدم مدنها بل قل هي من أقدم مدن العالم . فيها الشيء الجلل من الآثار القديمة ومسلاّت (Obélisques) عجيبة واعمدة ضخمة وأبنية فخمة . فمن هذه الآثار ما عملت فيه أيدي الدهور فحطمته فدرست أجزاءه وبقيت أجزاء مبعثرة . ومنها ما ازدرت بالعصور واعاصيرها ولا تزال الى اليوم اطلالاً . فيها كثير من الكتابات بعضها مسمارية وبعضها حميرية وبعضها يونانية وبعضها حبشية . ومن هذه الآثار ما هو أقدم عهداً مما ظن الرحالون الذين رأوها و يرجع تاريخها على الاصح الى عهد نجم الكلب المعبر عنه عند المؤرخين الأقدمين باسم (Constellation du Chien) . وأجمل ما يشاهد بين هذه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الآثار معبد عريق في القدم وفي وسطه عرش ضخم مهيب مصنوع من صخر الرخام المحبب المعروف بالغرانيت ، وعلى زواياه الاربع أعمدة مربعة الشكل . المعبد والعرش الذي فيه محفوظان الى اليوم جد الحفظ ، فالمعبد قُلع منه الصنم الذي ربما كان فوق العرش وحوّل كنيسةً يحج اليها الاحباش باحترام وتقى وهم يزعمون ان فيها لوحي الشريعة اللذين أنزلها الله جل جلاله على موسى الكليم عليه السلام مكتوباً عليهما الكلمات العشر . ويروون ان هذين اللوحين المقدسين نُقلا الى الحبشة عندما خرب البابليون اورشليم وهيكل سليمان . ويزعمون ايضاً ان هذا العرش هو الذي جلس عليه منيلك الاول بن سليمان الحكيم من ملكة سبا ، لذلك قضت التقاليد الحبشية ان يذهب كل نجاشي جديد ويجلس على هذا العرش عندما يصلّي على رأسه الاسقف ويلبسه التاج .. مثل هذه التقاليد كثيرة في تواريخ الملوك . أذكر لكم على سبيل المثل سلاطين بني عثمان فكانوا يقلدون السيف في جامع محمد الفاتح وملوك فرنسا فكانوا يُتوّجون في كاتدرائية (Reims) .

اما تسمية الحُبش بهذا الاسم فقد أجمع العلماء على انها مشتقة من قوش التي صارت بالنحت «حُبش» على توالي الازمان واللغات . وتسميتها (Abyssinie) بالافرنسية وباقي اللغات اللاتينية فانما هي تحريف عن كلمة حبشي اخذاً عن كتب البرتقاليين الذين استعمروا بعض أقاليمها او بالحري هيمنوا على مقدرات هذه الاقاليم مدةً ما واضعينها تحت حمايتهم . فالبرتقاليون يعبرون في كتابتهم عن حرف الشين بحرفي s (ss) فكتبوا حبشي (Abessin) وهم يلفظون أبشين فقرأها غيرهم من الافرنج بلفظ السين المشددة اي أبسين ومنها اشتقوا (Abyssin) و (Abyssinie) . وزعم لمعض المؤلفين ان هذه الكلمة مشتقة من اللاتينية (Abissus) وتعريبها الهاوية قالوا بما في الحبشة من الاودية والوهاد ولكن هذه الرأي نبذه العلماء .

ولها اسم آخر (Ethiopie) . وهذه الكلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين وهما (Aitho) وتعريبها أحرِقُ و (Pso) الوجه ، قالوا لسواد وجوه قاطنيها . وقد دعتها بهذا الاسم الجالية اليونانية التي رحلت اليها في عهد القيصر بطليوس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(Ptolémée III Evergète) وهذه التسمية لا تزال الاعم الى اليوم والمستعملة عند الحبشة انفسهم .

* * *

(اول علائق الحبشة بالبلاد العربية) — رحلة ملكة سبا الى اورشليم في عهد سليمان الحكيم . هي الرحلة التي ذكرتها الكتب المنزلة فضلاً عن تواريخ الاقدمين وقصص القصاصين . القرآن الكريم والتوراة المقدسة والانجيل الطاهر أتوا على ذكر رحلة ملكة سبا الى اورشليم في عهد الحكيم سليمان بن داؤود اي منذ نحو ثلاثين قرناً . تآليف عديدة شرقية وغربية ملأى بالغرائب عن هذه الملكة ذات الاصل الغامض والحكايات السحرية كأنها قصص الجن . من كانت هذه الحورية اوالجنية التي افاضت الاقاصيص بوصفها جعلوا لها بشرة كالنحاس وعينين حمراوين كالعقيق ؟ أكانت حبشية ام يمانية ؟ أيهودية كانت ام مجوسية ؟ تضاربت في ذلك آراء المفسرين فمنهم من قال ان سبأ (بالسين) او شبأ (بالشين) كانت مدينة في اليمن على عهد الحميريين ومنهم من قالوا بل كانت مدينة في شرق افريقية . قال فيها الدكتور (Mardrus) الافرنسي في كتابه الذي عنونه «ملكة سبا» .... واما تلك الملكة الآسيوية التي هام سرٌ ذكرها فوق العقول والاذهنة فان اسمها عند الشرقيين بمثابة صورة مقدسة باسناد اربعة : ذكرها في السورة الرابعة والثلاثين من القرآن الكريم (وهي سورة النمل) وذكرها في التوراة العبرانية المقدسة بلغة شعرية مقفاة وذكرها في الانجيل الطاهر في الاصحاح الثاني عشر من بشارة متى ودائم ذكرها في سلالتها وهي الأسرة المالكة في الحبشة » . انتهى .

على ان الآراء وان تضاربت فملكة سبا التي رحلت تتسمع حكمة سليمان بن داؤود النبي ملك يهوذا كانت بلا شك حبشية ، لان الاقدمين كانوا يسمون حبشة جميع البلاد التي ما وراء مصر آسيوية كانت ام افريقية ، يوم اذ كانت سلطة الفراعنة شاملة تلك البقاع حتى أواسط إفريقية ، واذ كان البحر الاحمر خليجاً قائماً في وسط تلك المملكة الواسعة الارجاء . قال سترابون : « الحبشة اسم تعرف به الارضون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الممتدة في الشمال » وذكر هوميروس صاحب الالياذة « ان الحبشة تمتد من البحر الى البحر » اي من بحر الهند الى بحر الظلمات او الاوقيانس الاطلنطي .

واذا تحرينا أقدم الروايات في تفاصيل رحلة ملكة سبأ الى اورشليم ، وجدناها في كثير من المخطوطات الحبشية القديمة الموجودة الآن في بعض المتاحف الاوربية ، وأهمها لمحفوظة في الـ (Bibliothèque Nationale) وهي المكتبة الوطنية في باريز ، وفي الـ (British Musénm) وهو المتحف الانكليزي بلوندرة وفي قصر آل (d'Abbadie) في شمال فرنسة . ومن هذه المخطوطات كتاب كبرا نكست (وتعربه عظمة الملوك) يرجع تاريخه الى القرن الرابع قبل الميلاد وقد نشره بالطبع العلامة المستشرق (wales Budge) حافظ العاديات المصرية والاشورية في المتحف البريطاني .

رحلة ملكة سبأ الى اورشليم ايها السادة ، وقيعة تاريخية لاجدال بصحتها ، ولكن في المخطوطات التي روت تفاصيلها اوهام ومغالاة وغرائب تحتاج الى الاثبات ، وأعجبها رواية لم تنوه بها الكتب المنزلة التي جاءت على ذكر هذه الرحلة ، وليس لها أسناد أخرى في كتب قدماء المؤرخين الذين دونوها ، وهي : ان بلقيس كما دعاها العرب عن التقاليد الاسيوية او ميقادي كما يدعوها الاحباش عن مخطوطاتهم القديمة أعجب حسنها الحكيم سليمان فاتخذها بين زوجاته وولد له منها ولد سماه منيلك . فلما شب هذا الغلام أرسله ابوه ملك العبرانيين الى الحبشة بحاشية كبيرة من رجاله فنزل عاصمتها اكسوم وادخل الدين اليهودي وكانت الوثنية شائعة في تلك البلاد وخصوصاً عبادة الحية .

الاحباش مقتنعون كل الاقتناع بهذه الرواية ، وهم ينزلونها منزلة الصحة التي لا ريب فيها ، و يقولون ان ابن سليمان هذا هو منيلك الاول ومن صلبه تسلسلت ملوكهم من ثلاثين قرناً الى اليوم . لذلك فاخر النجاشيون بهذا الحسب والنسب وكلهم ادعوا المت اليه من بُعد النسب بين العاهل والآخر ولقبت الأُسرة المالكة بالاسرة السليمانية ، وملوكها بالقاب مختلفة فيها صبغة الارث وصيغته عن جدهم الموهوم سيدنا سليمان . فكان النجاشي تقلا هيمانوت مثلاً يلقب بعظيم ملوك الناصرة وبسليل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

النبيين داؤود وسليمان ، والنجاشي يوحنّس بملك صهيون ، والنجاشي منيلك الثاني بابن سليمان بن داؤود حسب الجسد و بالاسد الظافر من سبط يهوذا ، وغيرهم من النجاشيين بما ضاهاها من الالقاب .

انا ممن لم يقتنعوا بصحة هذه الرواية وأميل الى رأي القائلين بان هي الا خرافة لفّقها قدماء الاحباش فتناقلتها عنهم الاحقاب وجعلتها عقيدة وطنية راسخة . ولذ لا بد لها من أساس وهو دخول الدين اليهودي الى الحبشة من قديم الزمان ، فاظن الاساس الذي بنوا عليه هذه الخرافة التاريخية هو هرب بعض اليهود الى الحبشة في ثلاثة أوانٍ مختلفة عريقة في القدم : اولاً عندما تغلب ملك اشور على مملكة اسرائيل الشمالية سنة ٧٢٢ قبل الميلاد وسبى اهلها ، ثانياً عندما افتتح بختنصر ملك الكلدانيين القدس وخربها سنة ٥٨٦ قبل الميلاد وهدم هيكل سليمان ولم يبق على عموم سكان مملكة يهوذا الجنوبية واجلا الاحياء منهم الى بابل ، والثالث عندما ناوأ ملك فلسطين انتيخوس ابيفانوس اليهود العداء واضطهدهم سنة ١٧٤ . وفي هذه الاوان التاريخية الثلاثة جلا كثير من اليهود الى مصر والسودان وسائر النواحي وخصوصاً الى البلاد العربية كالشام والعراق والحجاز واليمن ولا يبعد ان قسماً من هؤلاء وخصوصاً الذين هاجروا الى مصر العليا والسودان جاوزوها الى الحبشة عن طريق العَطبرة واقاموا فيها فان مناخ الحبشة الجبلي خير من مناخ بطائح السودان . والله اعلم .

* * *

(ذكر احتلال الحبشة اليمن) — قامت في اوائل القرن السادس حرب بين ذي نواس صاحب الأُخدود وعربه وهو تبّع يهودي وبين عرب نجران النصارى وذلك بان طمع ذو نواس بقبة نجران ولم تكن لليهود كعبة في اليمن فأراد اعلاء دينه بتحويل قبة نجران الى كعبة يهودية .

قال ابن الاثير فسار ذو نواس بجنوده الى اهل نجران ودعاهم الى التهوّد وخيّرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل فقتّل عندئذ بهم وأفنى منهم قريباً من عشرين الفاً بين قتل بالسيف واحراق بالنار وخرب كعبتهم . فأفلت منهم رجل يقال له دَوس ذو ثُعلُبان وهرب على فرس له فسلك الرمل ومضى على وجهه حتى اتى قيصر ملك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الروم (يقول المؤرخون ان هذا القيصر كان يوستنيوس الاول) فاستنصره على ذي نواس وجنوده واخبره بما بلغ منهم . فقال له بعدت بلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك . وكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثأره . فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبعث معه النجاشي ٧٠ الفاً من الحبشة « يقول المؤرخون الاحباش ان هذا الحادث وقع في زمن النجاشي كالب او خالب وبعضهم يقولون خالب الاصبهان » وامّر عليهم قائداً يقال له ارياط ومعه في جنده ابرهة الاشرم . فركب ارياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان فلما أحس ذونواس استنجد الأقيال فلم ينجدوه وقالوا يدافع كل منا عن بلاده . فسار اليه بمن أطاعه من قبائل اليهود . فلما التقوا انهزم ذونواس واصحابه مقهورين ولحقت بهم الحبشة وأعملت السيف فأفنت ثاثهم واختل ارياط اليمن واقام بها وخرب قصورها وأذل اهلها . فلما رأى ذونواس مانزل به وبقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل به وخاض ضحضاح البحر حتى أفضى به الى غمره فأدخله فيه وكان آخر العهد به . انتهى عن ابن الاثير .

وفي رواية أخرى ان الحبشة لما نزلوا بساحل اليمن ولم تنجد الاقيال ذانواس ، صنع مفاتيح وحمّلها على عدّة من الابل ولقي الحبشة وقال : هذه مفاتيح خزائن الاموال باليمن فهي لكم ولا تقتلوا الرجال والذرية ، فأجابوه الى ذلك وساروا معه الى صنعاء فقال لكبيرهم وجّه أصحابك لقبض الخزائن فتفرق أصحابه ودفع اليهم المفاتيح وكتب الى الاقيال يقتل من يفد عليهم ففعلوا ولم ينج من الحبشة الا القليل فلما سمع النجاشي جهّز حملة أخرى بقيادة ارياط وابرهة فأنجدت الحملة الاولى وانزلت البلاء بذي نواس وقتلت ودمرت وأحرقت واستولت على اليمن واستعمرتها . قال في ذلك ذو جدن الحميري :

لهوْنَكِ ليس يردُّ الدمعُ ما فاتا ... لا تهلكي أسفاً في اثر من ماتا

أبعد بينون لا عين ولا اثر ... وبعد سلحين يبني الناس أبياتا

بينون وسلحين هما كغُمدان من قصور اليمن التي هدمها ارياط .

قال ابن هشام : وهذا الذي عنى سطيح الكاهن بقوله لربيعة ليهبطن ارضكم الحبش

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وليملكنّ ما بين ابينَ الى جرش . والذي عنى شقٌّ الكاهن بقوله لينزلنّ ارضكم السودان ولتملكنّ ما بين ابينَ الى نجران .

قال ابن اسحق : فأقام ارياطُ بارض اليمن بعض السنين في سلطانه ثم نازعه في امر الحكم ابرهة الحبشي حتى انحازت الحبشة الى كل واحد منهما طائفة . ثم سار احدهما الى الآخر برجاله فلما تقارب الناس ارسل ابرهة الى ارياط انك لا تصنع بان تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئًا ، فابرز اليّ وأبرز اليك فأينا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده . فقبل ارياط بذلك وكان رجلاً عظيماً طويلاً فخرج ، وخرج اليه ابرهة وكان رجلاً قصيراً لحياً وخلفه غلام يمنع ظهره . فرفع ارياط الحربة وضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وانفه وعينه وشفته فبذلك سمي ابرهة الاشرم . وحمل الغلام على ارياط من خلف ابرهة فقتله فانصرف عند ذلك جند ارياط الى ابرهة واجتمعت عليه كلمة الحبشة باليمن فحكمها .

فلما بلغ ذلك النجاشي غضب غضباً شديداً وقال عدا على اميري فقتله بغير امري ثم حلف لا يدع ابرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته . فحلق ابرهة رأسه وملأ جراباً من تراب اليمن وبعث به الى النجاشي وكتب اليه : ايها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك ، فاختلفنا في امرك وكلٌّ طاعته لك ، الا اني كنت أقوى على امر الحبشة وأضبط لها وأسوَس منه . وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك وبعثت اليه بجراب تراب من ارض اليمن ليضعه تحت قدمه فيبرُّ قسمه فيّ . فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضي عنه وكتب اليه ان اثبت بارض اليمن حتى يأتيك امري فأقام ابرهة باليمن .

قال ابن اسحق : ثم ان ابرهة بنى القُليس بصنعاء والقليس هي الكنيسة التي اراد ابرهة ان يصرف اليها حج العرب وسميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها . ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف اليها حج العرب . فلما تحدث العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النَسَأة من بني فُقَيم من مضر اسمه الكِناني . والنسأة هم العرب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيُحلّون الشهر من الاشهر الحرم و يحرّمون مكانه الشهر من اشهر الحل و يؤخرون ذلك الشهر وهم ضربٌ من المخانين قال ابن اسحق فخرج الكناني حتى اتى القليس وأحدث فيها ما يغضب الحبشة وفرّ فلحق بارضه . فأُخبر بذلك ابرهة فقال من صنع هذا فقيل له رجل من العرب من اهل هذا البيت الذي تحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك أُصرف اليها حج العرب . فغضب عند ذلك ابرهة وحلف ليَسيرَنّ الى البيت حتى يهدمه ، وكان ذلك باعثًا لقيام ابرهة على عرب الحجاز بحرب دامت شهوراً وتعرف بحرف الفيل اوعام الفيل لان ابرهة سار فيها بجنده راكبًا فيلاً . وقد كان دليله رجل من عرب ثقيف من الطائف يدعى ابا رغال . وذلك بان عرب ثقيف اصحاب الكعبة اليمانية في الطائف التي كانت تنافس الكعبة الحجازية بمكة ارادوا هدم هذه الكعبة ليخلو لهم الجو فأرشدوا ابرهة الحبشي على الطريق . وقد مات ابو رغال على مقربة من مكة فرجمت قبره العرب وهو القبر الذي لا يزال يرجمه الناس بموضع يقال له المغمّس على ثلثي فرسخ من مكة على طريق الطائف .

و يروى ان ابرهة لم يوفق في هذه الحملة على نيل مرامه وعاد الى اليمن دون ان يمس البيت بسوء . ولما مات ابرهة مَلكَ اليمن ابنه يكسوم وبعد موته خلفه اخوه مسروق بن ابرهة . واساء الحبشة السيرة في اهل اليمن واشتد عليهم البلاء فقام سيف بن ذي يزن الحميري وطرد الحبشة من اليمن بمعاونة كسرى انوشروان وملك البلاد . وكانت مدة ملك الحبشة في اليمن اثنين وسبعين سنة . وبذلك تمت نبوءة سطيح الكاهن اذ قال لربيعة بن نصر « بل ينقطع (يعني ملك الحبشة على اليمن) لبضع وسبعين يمضين من السنين » ونبوءة شق الكاهن اذ قال « ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شأن » واذ سأله ربيعة من هذا العظيم الشأن قال « غلامٌ ليس بدني ولا مُدَن يخرج من بيت ذي يزن » .

« للبحث صلة »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net